سورة لقمان

obeikandl.com

﴿ سورة لقمان ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾

الحكمة هى إلقاء المعرفة الإلهية فى القلوب الطاهرة النقية المهيأة لهذا التلقى.

ومن أقطاب هذا المقام أبو العباسى الخضر ﷺ، وهبه الحق سبحانه من الحكمة ما أخفاه عن موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام.

وتعليل ذلك أن الحق سبحانه لا يعطى الحكمة الكلية لمخلوق بعينه دون اخفاء جزء منها، وهو سبحانه يفعل فى ملكه مايشاء وكما يشاء وهو لايسأل عما يفعل وهم يسألون.

واعلم أن الحكمة قد تقتضى خرق ظاهر الشريعة، وهذا وارد به نصوص الكتاب، فحينما يخرق الخضر سفينة ويقتل غلاماً ويهدم جداراً، فإنه مما لاشك فيه أن هذه أفعالاً تناقض ظاهر الشريعة، ولكن فعلها الخضر، ومن اعترضه؟ إنه موسى عليه السلام لكونها تناقض ظاهر الشرع الحنيف، ويقول له السيد الخضر فى ذلك: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴾ .

فقد يعطى الله الحكمة لغير نبى كالخضر، وينزعها من نبى كموسى عليه السلام، أقصد فى مسائل جزئية لا الحكمة الكلية فافهم، فإن الأنبياء هم أول من يؤتون الحكمة الكلية .

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾

علم ابنه علم المراقبة والحضور، فلا يغيب الكون لحظة عن الله بكل ذراته وجزئياته، قد استولى القهر الإلهى على الكون جملة وتفصيلا وهو قوله سبحانه : ﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ فمن لم يأت إليه سبحانه طوعا فرغم أنفه سيأتيه كرهاً .

وقد سألنا شيخنا عبد المجيد الشريف ﷺ عن الولاية؟

فقال : "هو استيلاء القهر الإلهى على قلب العبد"

ويقول سبحانه عن قاعدة استيلائه سبحانه على الأكوان والعوالم : ﴿ وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ .

وهناك آية فيها دلالة قوية على قهره سبحانه وهو قوله سبحانه : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ ﴾ .

ثم تحقق القطب الكامل بهذه الصفة عن الله يقول فى ذلك أبو بكر الشبلى ﷺ : "لو دبت نملة سوداء فى ليلة دهماء على صخرة سوداء ولم أدر بها لا تهمت نفسى"، وهناك ما هو أكبر من كل ذلك وهو علم الإمساك كإمساكه سبحانه السموات أن تقع على الأرض وإمساكه للشمس أن تهوى فى الكون فيختل النظام فيه، وكإمساكه سبحانه للمجرات وما فيها من نجوم أن تصطدم ببعضها البعض".

وكإمساكه سبحانه للجبال.

وهناك علم الجريان الإلهى فهو سبحان المجرى لمادة الكون لمائه

وهوائه وكواكبه وسياراته وقطاراته وسفنه، ولو توقف هذا العلم لحظة لتوقف الكون عن الجريان .

وهو من سر النفخ المحرك والموقف لمادة الوجود، فإذا نفخ الروح فى الجسد تحرك، وإذا نفخ إسرافيل فى الصور توقفت صورة الكون عن الجريان وقامت الساعة .

وهناك من العلوم الإلهية ما لانهاية له، فأين المخلوق من الخالق الأعظم المحرك الأعظم للكون والممسك له والآتى بمجموع أفعاله المتشابهة والمتضادة؟

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

والأعجب من كل هذا أن أقلام الأشجار والبحار الممدة ما هى إلا كلمات لله، بل كلمات الله هى الصانعة لها، فإين إذا هى من الكلمات الإلهية، وكيف تكتب؟ وهى الممدة للأشجار الكاتبة والبحار السبعة الممدة، ولن تنفذ الكلمات، والكلمات تكتب عين الكلمات، فأين الكلمات، وما هى سوى كلمة واحدة فافهم .

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

أى الفعلان ناتجان من مشكاة واحدة، وهى مشكاة القدرة الإلهية، وهما الخلق والبعث، وإذا كانت القدرة الإلهية قادرة على فعل ما لا نهاية له من الأفعال فى لحظة واحدة، ما تنقطع عنه الملايين

والبلايين المتكررة فى احصائه فى نفس اللحظة، وذلك بالقيام بمهام مجموع الأفعال الكونية المتعلقة بالأعيان، مما لاحصر له من الأفعال المتشابهة والمتناقضة، من فرح وحزن وصلح وقتال وموت وولادة ونوم وصحو وضحك وبكاء ومشى وقعود، إلى مالا آخر له من تناقضات الأفعال الكونية المتجلى بها من قبل الحق سبحانه على أعيان الوجود .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

يولج الليل فيه ليظهر النهار، ويولج النهار فيه ليظهر الليل، إذ الكون بدأ منه وإليه ينتهى، ﴿ وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾

ذلك بأن الله هو الحق الخفى – أى الخافى – فيتوهم غيره فى العقول المريضة، فيعبد غيره ويشكر سواه، فيقال لأصحاب هذه العقول المريضة: إن ما تدعون من دونه هو الباطل لا محالة.

ولو تحقق أصحاب هذه العقول والقلوب المريضة لرأوا ظهوره سبحانه فى الكون جهاراً – وذلك إذا أراد الله لهم زوال حجابهم – فهناك يتحققون من أنه هو سبحانه العلى الكبير.

ومتى اختفيت يا حبيبى حتى تظهر؟

هذا وإن ظهورك قد أعمى أبصار الجاحدين والمنكرين، وأشعل

مصابيح الدجى للسالكين والسائرين.

و جهـى بنـورك مشـــرق و ظلامـــه فى الناس ســارى

النـــاس فى سدف الظـــلام ونحن فى ضـوء النهـــار

وصدق شيخنا ابراهيم صالح الحسينى ﷺ عندما قال: إن الظهـور الإلهى من شدته صار حجاباً، وضرب مثلاً بقرص الشمس لا تستطيع النظر إليه إذا ركزت فيه وإلا عميت عيناك – هذا ولله المثل الأعلى، وضرب مثلاً آخر وهو الصانع الذى يلحم الحديد بالأكسجين لايستطيع النظر إليه عند اشعاله إلا من وراء النظارة الواقية وإلا تلفت عينـاه، فكيف بنا إذا تتبعنا الظهور الإلهى، فإن ذرات الجسد ستتلف، وطلـب موسى خير دليل لنا نحن الصوفية، عندما طلب من ربه أن يراه فقال له: لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل، وبمجرد رؤية موسى عليه السلام للتجلى الإلهى الواقع على الجبل، ماذا حدث للموسى وللجبل ؟ صعق موسى. وساخ الجبل فى الأرض أربعين ذراعاً، وقيل أربعين فرسخاً.

فكيف بنا ونحن لسنا بأنبياء نريـد أن نـرى الله بـذوات تلفحـت بالأوساخ والأدران والمعاصى ؟ إن أجسادنا ستتمزق بل ستصبح كماء البراكين الساخنة السائلة من شدة الظهور الإلهى فيها .